**من روائع الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس( جامع قرطبة انموذجا)**

**بقلم . أ.د .. محمود فياض حمادي**

\\\\\\\\\\\\

شهدت صفحات الفن المعماري الحضاري الاسلامي العديد من المعالم التي عكست روح الابداع لدى المسلمين على مر العصور التاريخية لاسيما تلك المعالم التي دامت شامخة الي يومنا هذا .. ومنها جامع قربطة في الاندلس(اسبانيا)

امر ببنائة عبد الرحمن الداخل سنة( 170 هـ \686م ) اذ شهد المسجد عدة اضافات خلال العهد الاموي في الاندلس اخرها كان سنة (377هـ \ 987م) على يد الحاجب المنصور بن ابي عامر .

**وصفه (جامع قرطبه):**

يقع جامع قرطبة الكبير على مقربة من الوادي الكبير اذ شيد على بقعة صخرية تقع الى الجنوب الغربي من المدينة (قرطبة )التي تميزت بضيق ازقتها المحيطة بالمسجد من كل جانب .

اما مساحة المسجد فقدرت ب (24,300م )مربع وله تسعة عشرة بابا مصنوعة كلها من البرونز . وقد اطلق على صحن المسجد الواقع الى الشمال فناء النارنج او بباحة البرتقال , وقال عنه الحميري :انه (من اجل ما صنع وكبر مساحة واحكام صنعتا وجمال الهيئة واتقان البنية اهتم به الخلفاء المروانيون فزاد فيه زيادة بعد زيادة وتميم اثر تميم حتى بلغ الغاية في الاتقان , فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف وليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولا وعرضا ) وقد اهتم به امراء المسلمين على طول الحقبة التي حكمو فيها الاندلس , حتى بلغ غاية البهاء والجمال اذ لم يضاهيه مسجد اسلامي في مساحته وفن اعماره لقرون طويلة .

**المأذنة:**

اما المأذنة فأنها تعد من عجائب الدنيا اذ تم تجديدها وترميمها لعدة مرات حتى وصل ارتفاعها الى 23م في زمن الامير عبد الرحمن الناصر واصبح لها اربعع عشرة نافذه تضم سلمين احدهما للصعود والاخر للنزول , اذ تعلو ها ثلاث قباب على شكل تفاحة اثنين منها طليت بالذهب والثالثة بالفضة فاذا ما طلعت الشمس وسطع ضياؤهاعلى تلك القباب امبهر الناس لشدة بريقها وجمالها .

ومن جهة اخرى ففي زمن (المنتصر بن الناصر )زاد عدد الاجنحة المرتبطة بالمسجد لاسيما بناء دار الصدقة بجانب المسجد وابتنى ايضا المحراب الثالث وعمل له قبة كبيرة زخرفت بالفسيفساء ومقصورة كبيرة تعلوها قبة ضخمة مستوحات من الطراز البيزنطي فضلا عن بناء دار اخرى للواعظ او الامام الى جانب ذلك بناء دار للعمال القائمين على خدمة المسجد.

**حرم الجامع**

يضم الحرم عددا كبيرا من الاعمدة المصفوفة قدرت ب 1013 عمودا مصنوعة من المرمر والحجر السماقي والرخام وحجر اليشب , جلبت من اماكن متفرقة من بلاد الاندلس , اذ وصف كثرتها (ديورانت :انها تحير الناظر وتوحي اليه بان المسجد لاينتهي عند حد ), وتخرج من هذه الاعمدة تيجان تتدلى منها عقود مختلفة الانواع بعضها نصف دائري وبعضها مستق واخرى مقوسة على شكل نصف دائرة ولجميعها اوتاد من الحجر منها الاحمر ومنها الابيض وضعت على التوالي .

اما السقف فقد ابدع الحميري بوصفه قائلا: ((ونصفه مسقف , ونصفه الاخر بلا سقف, وعدد قسي مسقفه اربعة عشر قوسا ,وسواري مسقفه بين اعمدته وسواري قببه صغارا وكبارا مع سواري القبلة الكبرى وما يليها الف سارية , وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد اكبرها واحدة تحمل الف مصباح, واقلها تحمل اثنى عشرمصباحا ً )) ,ويذكر ان هذه المصابيح تستمد زيتها من خزانات معلقة في السقف.

ويذكر صاحب كتاب الروض المعطار: ان جميع خشب المسجد من عيدان الصنوبر الطرطوشي ارتفاع الجائزة منه شبر في عرض شبر الا ثلاثة اصابع في طول كل جائزة منه سبعة وثلاثون شبرا , وبين جائزة واخرى غلظ الجائزة وفي سقفه ضرب الصناع النقوش ما لايشبه بعضها البعض الاخر اذ تلونت تلك الاحجار بين الابيض والاخضر والازرق والتكحيل .فهي تروق العيون وتستميل النفوس بأتقان ترسيمها ومختلف الوانها, وسعة بلاط سقفه ثلاثه وثلاثون شبراً وبين العمود والاخر خمسة عشر شبراُ ولكل عامود منها رأس رخام او قاعدة رخام .

وزينت الجدران بالفسيفساء , بعضها من الزجاج المطلي بالميناء الملون بالوان زاهرة , المرصع بقطع الذهب والفضة , اما المحراب وصفه الحميري (( قبلة يعجز الواصفون عن وصفها , فيها اتقان يبهر العقول فيها من الفسيفساء والذهب والبلور , وعلى وجه المحراب سبعه قسي قائمة على عمد طول كل قوس اشف من قامة , وكل هذه القسي مزججة صنعه القوط , قد عجز المسلمون والروم بغريب اعمالها ودقيق اعمالها وعلى الكل كتابة ومنحوتات بين بحرين من الفسيفساء المذهب في ارض الزجاج اللازوردي .

ولواجهة المحراب اربعه اعمدة اثنان اخظران واثنان زرزوريان لا تقوم بمال , وعلى راس المحراب قطعة واحدة مسبوكة بابدع التنميق من الذهب وسائر الالوان وهنالك استدارة على المحراب تحمل العديد من النقوش الغريبة , وعلى يمين المحراب المنبرالذي يبهر الناظرين اذ ليس على وجه المعموره مثله .خشبه ابنوس

ويقال استغرقت مدة صناعته السبع سنيين، واشرف على تشكيله ستة رجال من غير معاونيهم , وعن شمال المحراب بيت فيه عدد من طسوت الذهب والفضة والحسك كلها لوقيد الشمع في كل ليلة السابع والعشرين من رمضان ( ليلة القدر ) ويضم المحراب مصحف يرفعه رجلان لثقله اذ فيه اربع اوراق من مصحف عثمان (رض) الذي خطه بيده .

**ما قيل في جامع قرطبة :**

قال وليام جميس : (اللحظة الاولى للقاء الغرب بالاسلام وهو واحد من اعظم الروائع في الاسلام )

فيما قارن الادريسي فن بنائه بالمسجد الاموي الكبير.

اما ابن الوردي قال ) مسقط جامع قرطبة اكبر من مسقط المسجد الاقصى )

\\\\\\\\\

**المميزات المعمارية لجامع قرطبة**

ان بناء الجامع على بقعة صخرية على مقربة القنطرة العربية تبين دقة اختيار موقع البناء من ثبات الارضية ووفرة المياه , وهذه امور لها حساباتها من الناحية المعمارية , لاسيما اذ ماعلمنا ان بناء الجامع اشبه بقلعة ذات اسوار وابراج , فضلا عن جدرانه السميكة المشيدة بالحجارة القاسية , تلاقت فيه فنون العمارة الشرقية والغربية عاكسة ً ثقافة الحضارة الاسلامية المتجددة مع تطور العصر ,

كان المسجد الجامع في قرطبة الى جانب كونه مكان عبادة فهو يعد مركزا فكريا وانموذجا فريدا في فن العمارة الاسلامية , اذ يتبين من خلال البناء لهذا المسجد روح التجديد في العمارة الاسلامية وذلك من خلال اضافة لمسات معمارية جديدة تحاكي التطور الذي يشهده ذلك العصر ومن فن العمارة فيه ان الاروقة قد صممت لتكون عامودية التوزيع على جدارن القبلة غير متصلة عكس بقية المساجد التي تكون موازية لجدران القبلة متصلة مع بعضها .

**محاولات طمس هوية المسجد**

ذكرت صحيفة العرب التي تأسست في لندن سنة 1977م ان هنالك محاولات لتحويل ملكية الجامع في قرطبة الى الكنيسة الاسبانية والتي قامت باالاستحواذ على هذا المعلم الحضاري , وذلك بعد ان استغلت اسقفية قرطبة قانون يسمح بتسجيل ملكية المعابد بأثمان رمزية واستناداً الى ذلك قامت اسقفية قرطبة بتسجيل الجامع الشهير في ملكيتها مقابل (30يورو) في مارس عام 2006م , وتذكر الصحيفة انه سيتم تحويل هذا المعلم التاريخي بشكل رسمي الى ملكية الاسقفة في العام 2016 م اذ لم يجري منع ذلك قانونا وقد قام احد الاكادميين في جامعة قرطبة ( جنوب اسبانبا ) يدعى انطونيو مانويل بمبادره لمنع انتقال ملكة مسجد قرطبة الى الكنيسة الاسبانية , وقد حضيت مبادرته بدعم واسع في الاوساط الاكاديمية اذ انظم الى هذه المبادرة اكثر من 180000 الف مواطن لمنع نقل ملكية هذا الجامع , وقد ذكر رودريغير قائلا : (يجب ان يكون هناك وئام وتسامح واحترام , لابد من الحفاظ على هذا المكان كرمز بين الثقافتين كما كان الحال عليه منذ قرون )

كما وطالب ايضا حكومة الاندلس والبرلمان الاسباني والاوربي ومنظمة اليونسكو ان يحافظوا على المسجد باعتباره مسجدا للقرطبيين وللاندلسين وللانسانية بصورة عامة .

في حين ان مسجد قرطبة قد عده منظمه اليونسكو تراثا انسانيا ليس فقط بفضل غناه الحضاري بل كونه يجسد معلما للتعايش بين الثقافات المختلفة .

من جهة اخرى ابدت بعض الاوساط الاسبانية عدم ارتياحها لخطوة الكنيسة الاسبانية واعدت هذه الخطوة بمثابة محو للهوية الاسلامية في اسبانيا لاسيما وانه من اكبر المساجد في اوربا ,

من جهته حذر كمال مخلف ميزالي الامين العام لجمعية المسلمين في قرطبة وامام المسجد قائلا (لن يمر خطر فقدان مسجد قرطبة على المسلمين مرور الكرام )

واضاف : نحن لا نسعى الى مواجهة بين الاديان ولا نطالب بالصلاة في هذا المسجد بل نرغب بجعله في خدمة الانسانية . جريد العرب , 7\4\2014م

**المصادر**

1. الحميري ت900هـ: الروض المعطار في خبر الاوطان .
2. ابن الاثير ت 630هـ: الكامل في التاريخ.
3. ابن الابار658هـ : تكملة لكتاب الصلة .
4. ديورانت: قصة الحضارة \ ترجمة د. زكي نجيب .
5. ابن فقيه ت365هـ: البلدان .
6. الادريسي ت 560هـ: نزهة المشتاق في اختراق الافاق .
7. صحيفة العرب لندن : 7\4\2014م.





